

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدرس الواحد والثلاثون

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً نافعا اللهم اغفر لنا ولشيخنا أجمعين

باب ما جاء في التنجيم

قال البخاري في صحيحه : قال قتادة : خلق الله هذه النجوم لثلاث : زينة للسماء ، ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها ، فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه ، وتكلف ما لا علم له به . انتهى . وكره قتادة تعلم منازل القمر ولم يرخص ابن عيينة فيه ، ذكره حرب عنهما . ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق . وعن أبي موسى قال : قال رسول الله ﷺ : " ثلاثة لا يدخلون الجنة مدمن خمر ، وقاطع الرحم ، ومصدق بالسحر " . رواه أحمد وابن حبان في صحيحه .

[الشرح]

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين أما بعد:-

فقد قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - في كتاب التوحيد باب ما جاء في التنجيم

◆ عقد المصنف - رحمه الله - هذا الباب لتعلق مسألة التنجيم بالتوحيد من جهتين:-

- الجهة الأولى: لما في التنجيم من ادعاء علم الغيب وذلك مما اختص الله تعالى به

- الثاني: لما يترتب على ذلك من تعلق القلب بغير الله تعالى فيتعلق القلب بمطالع النجوم ومخارجها واعتقاد

أن ذلك يؤثر في مجريات الأمور والأقدار

وهذا هو مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد من جهتين:

- إحداهما أن علم التنجيم فيه ادعاء علم الغيب فإن المنجمين يزعمون استشراف واستطلاع ما في المستقبل

ولا يعلم الغيب إلا الله

- والثاني ما ينتج عن ذلك من تعلق القلب بغير الله - عز وجل - من نظر إلى حركة الأفلاك فلأجل ذا عقد المصنف - رحمه الله - هذا الباب، وهو قد قال:

باب ما جاء في التنجيم. ثم لم يقطع بحكم في ذلك فإن هذه الترجمة لا تفيد حكماً وإنما تفيد الإخبار بأن المصنف - رحمه الله - سيسوق ما جاء في التنجيم من أخبار،

◊ وسر ذلك أن علم النجوم ينقسم إلى قسمين

- إلى علم التسيير

- وإلى علم التأثير،

أما علم التسيير فهو علم مباح وإن كان قد وقع فيه خلاف نبينه، والمقصود بعلم التسيير معرفة مطالع النجوم ومغاربها وارتباط ذلك بالفصول الأربعة صيفا وشتاء، وخريفاً وربيعاً وما يتعلق بذلك من أنواع المزروعات والنباتات وغير ذلك وما يتعلق أيضاً به من معرفة منازل القمر وأشياء مثل هذا فيما يسمى حالياً بعلم الفلك فهذا هو علم التسيير وهو علم مباح لأنه يدرك بالنظر والقياس واستعمال الآلات المختلفة ولم يزل الناس يشتغلون به إلى يومنا هذا حتى بات علماً واسعاً ولا سيما في هذه العصور الأخيرة لما تطورت الأدوات والوسائل

أما النوع الثاني فهو علم التأثير_ زعموا_ وهو الاستدلال بحركة الأفلاك والأجرام السماوية على الحوادث الأرضية الاستدلال بحركة الأفلاك والأجرام السماوية الشمس، والقمر، والزحل، والمشتري وغير ذلك على الحوادث الأرضية فيزعم المنجمون أنه إذا طلع كذا يحصل كذا وإذا اقترن كذا بكذا يحصل كذا زعماً منهم فهذا يسمى علم التأثير وهذا النوع محرم لما فيه من ادعاء علم الغيب ونسبة التدبير إلى غير الله - عز وجل -

◊ قال البخاري في صحيحه "قال قتادة"

إذن هذا يسمى عند العلماء معلق لأن قتادة - رحمه الله - بينه وبين النبي ﷺ و سائط أسقطهم فهو نقل مباشرة عن قتادة قال قتادة

وقتادة سبق التعريف به وهو قتادة بن دعامة السدوسي - رحمه الله - من خيار التابعين

خلق الله هذه النجوم لثلاث يعني لثلاث فوائد أو حكم أو ما أشبه زينة للسماء، ورجوما للشياطين، وعلامات

يهتدي بها

زينة للسماء إي والله هذا الأمر يدركه كل أحد فإن قبة السماء المرصعة بهذه النجوم جميلة جدا إذا تأمل الإنسان في هذه اللآلئ المنتشرة في قبة السماء وهي تزهر وتضيء وتأمل توزيعها وانتظامها فهذا من أجمل الزينة كالعقد الذي يوضع على الجيد فلا شك أنه زينة ويدل على ذلك قول الله - عز وجل - : (ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح) إذن هي زينة

- الثانية: رجوما للشياطين؛ هذه النجوم في السماء ينفصل منها شهب يقال شهب ويقال نيازك وهي أجزاء

منها كتل ضخمة تشق أجواء الفضاء فيرجم الله تعالى بها مسترقي السمع قال الله - عز وجل - : (وجعلناها رجوما للشياطين)، وقال في الآية الأخرى (إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب) وقد صان الله تعالى السماء زمن تنزل الوحي فقد قال الله - سبحانه وتعالى - - على لسان مؤمني الجن (وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا)

فنعلم أن ما كان في زمن النبوة وتنزل الوحي كان لصون السماء عن استراق الشياطين للسمع لكن هل دام ذلك؟ الأمر محتمل فهل كل شهاب نراه يبرق في السماء يكون بالضرورة مرسلا على شيطان؟ يحتمل هذا وقد يكون انفصل بقدره الله - عز وجل - وهو إذا احتك بالغلغاف الجوي احترق فرآه الناس

- أما الثالثة: فعلامات يهتدي بها؛ والدليل على ذلك قول الله تعالى: (وعلامات وبالنجم هم يهتدون)، وقال

في الآية الأخرى (وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر) لأنها أشبه بالمراسم على وجه الأرض كما أن الناس في سيرهم على وجه الأرض يستدلون بالمراسم التي ينصبونها أو بالجبال الثابتة الرواسي أو غير ذلك من العلامات الثابتة فكذلك السماء قد جعل الله تعالى هذه النجوم علامات مستديمة في أوقات معينة أدركها الناس مع طول الملاحظة والمراقبة وقيدوا ذلك وكتبوه وتواتروا فيركب الناس البحر بين خضم الأمواج يستدلون بنجم فلاني ويدخلون المفاوز والقفار المهلكة ويراقبون نجما فلانيا فيجعلونه عن يمينهم أو عن شمالهم أو أمامهم فيستدلون به كما يستدل الناس مثلا بالنجم القطبي لمعرفة اتجاه الشمال فهي علامات

- قال قتادة - رحمه الله - :

فمن تأول فيها غير ذلك فقد أخطأ وأضاع نصيبه

تأويل فيها:التأويل يراد به على لسان الشارع وعند المتقدمين أحد معنيين

- إما أن يراد به الحقيقة التي يؤل إليها الشيء،

- وإما أن يراد به التفسير،

هكذا استعمله السلف كما استعمله الكتاب والسنة

إما أن يراد بالتأويل الحقيقة التي يؤل إليها الشيء لأنه مشتق من الأول والأول هو الرجوع وشاهد هذا المعنى قول الله - عز وجل - : (هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله) يعني تحقق وقوعه في الخارج هذا هو أحد معنيين من معاني التأويل،

وأما المعنى الثاني فإنه يأتي بمعنى التفسير ومنه قول النبي ﷺ في دعائه لابن عباس: " اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ". فهو يأتي بمعنى التفسير،

أما ما أحدثه المتكلمون بعد ذلك من تعريف التأويل من أنه: نقل الكلام عن ظاهره إلى معنى يخالف الظاهر فهذا اصطلاح محدث ولا مشاحة في الاصطلاح ولكن ليست هذه لغة الكتاب والسنة فيجب أن نفهم كلام الله وكلام نبيه وكلام السلف المتقدمين على هذا الوفاق

فيكون قول قتادة فمن تأول فيها غير ذلك يعني بمعنى فسرهما بغير ذلك فقد أخطأ يشير في هذا إلى ما يدعيه المنجمون من أن اقتران الزهرة بالقمر يدل على كذا وكذا من تأول غير ذلك

فقد أخطأ والخطأ ضد الصواب

وأضاع نصيبه يعني ضيع عمره فيما لا طائل من ورائه لأنه يعني رجم بالغيب وتخبط لا دليل عليه

وتكلف ما لا علم له به والتكلف مذموم (قل لا أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين) فزجر قتادة - رحمه الله - عن استعمال علم النجوم في غير هذه الثلاثة المذكورة إذن هذه هي حكمة خلقها زينه للسماء رجوم للشياطين وعلامات، وقوله " وعلامات " يتسع للدلالة على الطرقات وللدلالة على الفصول وما يقترن بها من موافقات زراعية ونحو ذلك

◆ فمناسبة هذا الأثر للباب ظاهرة:

وهو بيان الحكمة من خلق النجوم ولأن من ادعى تأثير حركة النجوم في القدر فقد ضل سواء السبيل

◆ نستفيد من هذا الأثر:-

- نستفيد منه بيان الحكمة من خلق النجوم كما دل عليها صريح الكتاب

- نستفيد أيضا الرد على المنجمين الذين يدعون أنها خلقت لأغراض آخر

- نستفيد أيضا الرجوع إلى كتاب الله - عز وجل - في استنباط العلل والحكم؛ فإن قتادة قال قولا كل جملة فيه

ترجع إلى دليل من القرآن

- ونستفيد أيضا أن من اهتدى بغير هدي الله فقد أخطأ وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به؛ من يستدل بغير هدى الله فقد أخطأ وأضاع نصيبه وتكلف ما لا سبيل للعلم به إذن هذا هو حال المنجمين عافانا الله وإياكم وهم منذ قديم الزمان وهم يدعون هذه الدعوى وأنهم يستدلون بحركة الأفلاك السماوية على الحوادث الأرضية حتى إن بعضهم ألف كتابا سماه السر المصون في مخاطبة النجوم وكأنها تستطلع النجوم الغيب لتخبره عما يقع في حوادث المستقبل

◆ قال - رحمه الله -: وكره قتادة تعلم منازل القمر ولم يرخص فيه ابن عيينة وسفيان - رحمه الله -

إذن في هذا إشارة إلى أن بعض السلف المتقدمين كرهوا تعلموا حتى علم التسيير لأن علم منازل القمر علم يتعلق بعلم التسيير لا بعلم التأثير إذ أن القمر ينزل في الشهر ثمان وعشرين منزلا عند الفلكيين فكأن قتادة - رحمه الله - وابن عيينة رحمهما الله كرها هذا الأمر لثلاث ذريعة لما بعده ف وقعت منهم تلكم الكراهية من باب سد الذرائع، قال:

ذكره حرب، حرب الكرماني من أجلة أصحاب الإمام أحمد بن حنبل عنهما

ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق، أحمد هو أحمد بن حنبل وإسحاق هو صاحبه إسحاق بن راهويه
رحمهما الله فدل ذلك على أن من السلف من رخص في علم التسيير وهذا هو الذي ينبغي إذ أن هذا العلم علم مفيد

نافع للناس في زراعتهم وفي حركتهم البرية والبحرية وغير ذلك فهو علم نافع مفيد فلا حرج في تعليمه ومن منعه من المتقدمين فإنها منعه من باب سد الذرائع وحتى لا يفضي إلى المحذور منه

◆ ثم قال "وعن أبي موسى"

وهو أبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس صحابي من فقهاء الصحابة - رضوان الله عليهم - ولي الكوفة وكانت وفاته سنة خمسين قال: (قال رسول الله ﷺ:

ثلاثة لا يدخلون الجنة - نعوذ بالله - هل أراد بهم النبي ﷺ ثلاثة بالعين أم ثلاثة بالوصف ؟ بالوصف ليس المراد ثلاثة أشخاص بأعيانهم وإنما بأجناسهم .

مدمن الخمر - الخمر أم الخبائث ومدمنها هو من يعتاد شربها فلا ينزجر عنها مدمن الخمر ولهذا ورد في حديث نحن نعلم أن شارب الخمر يجلد إما حدا وإما تعزيرا على خلاف ولكن قد ورد في حديث أنه يقتل في الرابعة مدمن الخمر

وقاطع الرحم: والرحم المراد بها القربى والصلة وقطعها يكون بفعل ما لا يليق في حقها بعدم صلة ذلك الرحم وبلها ببلاها وذلك أن الله - - سبحانه وتعالى - - لما خلق الرحم قامت فقالت يا رب هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال ألا ترضين أن أصل من وصلك وأن أقطع من قطعك قالت بلى ولهذا الرحم شجنة من الرحمن فيه مشتق من نفس المادة فأمر الرحم عظيم وصلة الأرحام من مقاصد الدين فقاطع الرحم هو الذي يسيء إلى قرابته ولا يصلهم وذلك بحسب درجتهم من القربى وقد اختلف العلماء في الرحم التي يجب صلتها فقال بعضهم إلى الأب الرابع هؤلاء هم الذين يعدون رحما للإنسان أبوك وجدك وجد أبيك وأبوه هؤلاء الأربعة وما تسلسل منهم هم رحمك واستنبطوا ذلك من النصوص الدالة على خصوصية بني هاشم بالنسبة للنبي ﷺ وبني عبد المطلب طيب وأما الثالث:

فمصدق بالسحر عيادا بالله وقد تقدم معنا أن من أتى كاهنا أو عرافا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد رواه أحمد وابن حبان في صحيحة

طيب أين ذكر التنجيم في هذا الحديث؟ ما صلة سياق المصنف - رحمه الله - لهذا الحديث وليس فيه ذكر للتنجيم - من أين يستدل ذلك أبا عبد الله؟ - لكون التنجيم من السحر، ما الدليل على أن التنجيم من السحر؟ ما مر معنا سابقا من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد هذا هو سبب استدلال المصنف بهذا الحديث

◆ فمناسبة هذا الحديث للباب:

أن فيه الوعيد على المصدق بالسحر والتنجيم نوع من أنواع السحر

◆ ونستفيد منه فوائد عدة منها:-

- تحريم التنجيم؛ وأنه من الكبائر وقد يبلغ بصاحبه الكفر بحسب حاله

- ونستفيد أيضا تحريم شرب الخمر؛ والوعيد على مدمنها

- ونستفيد أيضا تحريم قطيعة الرحم؛ ووجوب صلتها وقول النبي ﷺ ثلاثة لا يدخلون الجنة هذا يتفق مع قواعد أهل السنة والجماعة ولا يعارضها فهذا يحمل على أنه إن لم يبلغ بهم مبلغ الكفر فإنهم لا يدخلون الجنة مع أول الداخلين بل يتعرضون للعذاب في النار بقدر كبيرتهم وإن كان صدر منهم ذلك على وجه الكفر كالتصديق بالسحر فإنهم لا يدخلون الجنة مطلقا فيكون النفي نفيا مؤبدا

◆ لننظر في المسائل.....

فيه مسائل :

الأولى : الحكمة في خلق النجوم .

[الشرح]: نعم وهي تلكم الثلاثة التي عدها قتادة - رحمه الله -

الثانية : الرد على من زعم غير ذلك .

[الشرح]: لقول قتادة فمن تأول فيها غير ذلك فقد أخطأ وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به

الثالثة: ذكر الخلاف في تعلم المنازل.

[الشرح]: وهو ما نقله - رحمه الله - من قول قتادة وسفيان من جهة وقول أحمد وإسحاق من جهة أخرى

الرابعة: الوعيد فيمن صدق بشيء من السحر ولو عرف أنه باطل.

[الشرح]: نعم لقوله في الحديث ومصداق بالسحر فجعله أحد الثلاثة الذين لا يدخلون الجنة

نتقل إلى الباب الذي يليه...

باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء

وقول الله تعالى : { وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ } [الواقعة : ٨٢] .

وعن أبي مالك الأشعري - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : " أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن : الفخر بالأحساب ، والطعن في الأنساب ، والاستسقاء بالنجوم ، والنياحة ، وقال : النائحة إذا لم تتب قبل موتها ، تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ، ودرع من جرب " رواه مسلم .

ولهما عن زيد بن خالد - رضي الله عنه - قال : " صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل ، فلما انصرف أقبل على الناس فقال : " هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ " قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : " قال : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب ، وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب " .

ولهما من حديث ابن عباس بمعناه ، وفيه : قال بعضهم : " لقد صدق نوء كذا وكذا ، فأنزل الله هذه الآية { فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ } إلى قوله { تُكَذِّبُونَ } .

[الشرح]

◊ قال المصنف - رحمه الله - تعالى: باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء

باب ما جاء يعني من الوعيد والزجر في الاستسقاء بالأنواء

"الاستسقاء" هو طلب السقيا،

"والأنواء" جمع نوء وهي منازل القمر وذلك أن القمر كما قال الله - عز وجل - (والقمر قدرناه منازل) فللقمر في الشهر ثمان وعشرون منزلاً ينزل في كل ليلة منزلاً وأهل المعرفة بالنجوم يقولون أنه في كل ليلة يغيب نجم ويطلع رقبه بعد أن يمكث النجم ثلاثة عشر ليلة يغيب ويطلع رقبه ويعتقد أهل الجاهلية أنه إذا طلع رقبه نزل مطر فيقول قائلهم مطرنا بنوء كذا وكذا، ولهذا أنزل الله تعالى:

"وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون" ومعنى هذه الآية وتجعلون حظكم ونصيبكم التكذيب كأنه لم يكن لكم حظ ولا نصيب إلا التكذيب فكان ينبغي لكم أن تشكروا نعمة المنعم على إنزال المطر ولكنكم عكستم القضية فجعلتم حظكم ونصيبكم بدلاً من أن يكون شكر المنعم على نعمة المطر جعلتموه نسبتاً إلى غير الله - عز وجل - وقولكم مطرنا بنوء كذا وكذا فتكذبون وتنسبون هذه النعمة إلى الكواكب

◊ فمناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد

أن نسبة نزول المطر إلى غير الله - عز وجل - من الشرك الأكبر لأنه شرك في الربوبية ولهذا جرى إيراد هذا الباب للتحذير منه

◊ ودلت هذه الآية العظيمة

التي ذكرها الله تعالى في آخر سورة الواقعة (وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون) على فوائد منها:-

- بطلان نسبة نزول المطر إلى الأنواء؛ وهو الزعم الذي كان يعتقد أهل الجاهلية وهو أنه إذا غاب نجم وظهر رقبه قالوا نمطر بنوء كذا وكذا وإذا وافق ذلك مطراً قالوا مطرنا بنوء كذا وكذا

- أيضاً نستفيد من هذه الآية أن نسبة نزول المطر إلى النوء مناف لشكر نعمة الله مناف لشكر نعمة المنعم

- ونستفيد أيضا بأن ذلك كذب لأن الكذب هو الإخبار بخلاف الواقع كما أن الصدق هو الإخبار المطابق للواقع فالواقع أن ذلك كذب

- ونستفيد أيضا وجوب شكر نعمة الله - عز وجل - ؛ واعلموا يا إخوة ويا أخوات أن الشكر عبادة عزيزة فكثير من الناس يحسن عبادة الصبر ولكن قليل من الناس من يحسن عبادة الشكر ولهذا قال ربنا - عز وجل - (وقليل من عبادي الشكور)، وقال (اعملوا آل داوود شكرا وقليل من عبادي الشكور)

فكثير من الناس حينما تحل به البلايا والرزيا يفرع إلى الله ويدعوه ويستجير إليه ولا شك أن هذا عبادة، ثم إذا أنعم عليه وفرج عنه ونفث كربه نسي ما كان يدعو إليه من قبل نسي النعمة ونسي دعاءه لله - عز وجل - فلا يتفطن لهذا إلا أصحاب العبادة الخالصة كما أثنى الله تعالى على نوح (إنه كان عبدا شكورا) وكما قال نبيه ﷺ حينما كان يقوم الليل حتى تتفطر قدماه فقالت له عائشة في ذلك أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال: أفلا أكون عبدا شكورا.

فعلى طالب العلم وعلى المؤمن أن يتفطن لشكر المنعم وأنت في مسيرك وفي تقلبك بين أهلك تذكر أنك في نعم الله - عز وجل - فاشكر الله

اشكر الله بلسانك وبقلبك وبفعلك

أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا

فشكر القلب بأن يغتبط القلب بنعمة الله وأن يشعر بالامتنان لله - سبحانه وتعالى -

وكثير من الناس قلبه مسكون بالنقمة عافانا الله وإياكم لو فتشت بين أضلاعه ونبشت عن قلبه لوجدته يعني مسكونا بالنقمة والتبرم والضيق لا يشعر بشكر نعمة الله فالذي ينبغي أن يحل في سويداء القلب الشعور بنعمة الله - عز وجل - ولو لم يكن إلا أن الله أنعم عليك بالإسلام وكف،

كذلك يكون الشكر باللسان وهو اللهج بشكر الله - عز وجل - ونسبة النعم إليه وهذا أمر تلمسه عند بعض الموفقين كل ما جلس مجلسا وإذا به يثني على الله بما هو أهله ويشكره على نعمائه، ومن الناس من يعقد لسانه عن ذلك ولا يتحدث بنعم الله عليه حتى إنه يفعل ذلك والعياذ بالله خوفا من العين وهذا خوف مناف للإيمان بعض الناس يسأل عن حاله فيقول يا الله ماشيه والله قد أعقد عليه من النعم وكان ينبغي له أن يقول نحن في خير ونعمه

وسعة وفضل من الله عميم ويذكر ما ينبغي لأن الله يجب أن يشكر فتجد من الناس من يعمي على هذا ولا يذكر نعم الله عليه ولا شك أنه نوع من الكفران نعم لا حاجة بأن يتباهى الإنسان ويتفاخر على الناس لكن إذا كان المقام مناسباً أو سئل فعليه أن يشني بالنعمة على مسديها (وأما بنعمة ربك فحدث) على أحد المعنيين،

وأما أيها الإخوان بالجوارح فهو أن يسخر جوارحه في شكر نعمة الله فإذا كان أنعم الله عليك بالصحة فانقل خطاك إلى المساجد وصل مع الجماعة واسع على الأرملة والمسكين واذهب إلى الحج والعمرة وطف بالبيت واسع بين الصفا والمروة وقف في عرفة استعمل هذه الجوارح فيما تقترب به إلى الله - عز وجل - حتى إمطة الأذى عن الطريق شكر لنعمة المنعم هذا الشكران

- ثم قال المصنف - رحمه الله - :-

◆ "وعن أبي مالك الأشعري"

أبو مالك الأشعري اسمه حارث بن الحارث وهو من عداد من سكن الشام من الصحابة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال:

أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن، إذن هذا علم من أعلام النبوة حيث يخبر النبي ﷺ بأربع خصال مذمومة مما كان عليه أهل الجاهلية تظل سارية في بعض هذه الأمة ليس المقصود في جميعها فيها قلوباً أو كثروا ولكنها تبقى إلى يوم القيامة لا تنقرض والواقع شاهد على ذلك للناظر

ما الجاهلية؟ الجاهلية هي الفترة التي سبقت الإسلام كما سماها الله تعالى في كتابه (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) وهي منسوبة إلى الجهل وذلك لعدم العلم فإن العلم إنما أتى الله به مع نبيه ﷺ ويعلمهم الكتاب والحكمة فإنما أتى العلم بوحي السماء فمن أمر الجاهلية لا يتركونهن

طيب كونهن من خصال الجاهلية هل يقتضي الكفر؟ لا ليس بالضرورة فقد يتلبس الإنسان بخصلة من خصال الجاهلية ولا يكون بذلك كافراً؛ كما قال النبي ﷺ للصحابي الذي قال لبلال يا ابن السوداء قال إنك امرؤ فيك جاهلية يعني فيك شيء من خصال الجاهلية وأخلاق الجاهلية فقد يحيط المسلم شيء من الجاهلية لا يتخلص منها إلا بالمجاهدة كما في هذه الخصال المذكورة.

الفخر بالأحساب ما المقصود بالفخر بالأحساب يعني التعاضم على الناس بالآباء و المآثر بأن يقول نحن قبيلة كذا وفينا كذا ومنا كذا لم يزل هذا موجودا في الناس إلى يومنا هذا ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه لكنها موجودة وتلاحظون هذا جليا الفخر بالأحساب يقابل هذا أيضا:

الطعن في الأنساب يعني تنقص الناس بالعيب فيقال هذا لا أصل له هذا من البلد الفلاني هذا كذا وكذا هذا أيضا والعياذ بالله من أمر الجاهلية ليس من أخلاق الإسلام ولا آداب الإسلام أن يقع ذلك

الخصلة الثالثة الاستسقاء بالنجوم؛ وهي موضع الشاهد من هذا الحديث لهذا الباب فالاستسقاء بالنجوم يعني نسبة السقيا و المطر إلى حركة النجوم والأنواء ولم يزل في الناس من يقول كذا وكذا فينسب نزول المطر إلى النجم الفلاني وينسى أن هذه مجرد موافقة تزامنية لا أقل ولا أكثر وهذا يوجد بصيغ مختلفة لو تأمل الإنسان في كلام الناس وكلام بعض الكتاب وغير ذلك لوجده شاهدا على قول النبي ﷺ وإعلامه بهذا الأمر الذي يبقى في الأمة

" والنياحة على الميت " والمقصود بالنياحة رفع الصوت والندب على الميت وهذا يقع لاسيما من النساء لضعف عقولهن وغلبة عاطفتهم ولا شك أن الموت مصيبة لكن هذه المصيبة يجب أن تواجه بالصبر والاحتساب لا بالصراخ والعيويل فالصراخ، والعيويل وشق الجيوب، ولطم الخدود، لا يرد ميتا ولا يجزي عن صاحبه ولهذا قال وقال النائحة إذا لم تتب ولماذا عبر بالنائحة؟ ألا يدخل في ذلك النائح بلى والله يدخل لكن لوقوعه في النساء أكثر من الرجال، قال: ((والنائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران)) قوله:

إذا لم تتب قبل موتها يدلنا على عظم أمر التوبة وأن التوبة تجب كل معصية

تقام يوم القيامة يعني تبعث يوم القيامة

وعليها سربال من قطران سربال من قطران - والعياذ بالله - يعني ثوب من النحاس المذاب سربال من قطران،

ودرع من جرب يعني أيضا تدرع درعا من جرب والجرب معلوم أنه ينشأ عنه حكة عظيمة وأما القطران ففيه حرارة متناهية حرارة عظيمة

ما الذي يحصل للأدمي حينما يقع له على بشرته والعياذ بالله شيء حار أو حكة بليغة؟ أن يصيح ويولول فالجزء من جنس العمل لما كانت في الدنيا تصيح بأعلى صوتها وتشرح حلقها بالصراخ وقد تكون تفعل ذلك أيضا تكلفا كالنائحة المستأجرة التي مهمتها فقط أن تصيح للناس وتبكي لهم تزعم أنه تسعدهم كانت عقوبتها يوم

القيامه من جنس عملها فتقوم وهي تصيح وتولول بسبب هذا السربال من قطران والدرع من جرب جزاء وفاقا.

رواه مسلم

◆ إذن الشاهد من هذا الحديث ومناسبته للباب:

قول النبي ﷺ الاستسقاء بالنجوم حيث عد ذلك من خصال الجاهلية لما فيه من نسبة التدبير إلى غير الله - عز وجل -

◆ فنتفيد من حديث أبي مالك الأشعري عدة فوائد منها:-

- أولا: تحريم الاستسقاء بالنجوم والانواء تحريم ذلك

- نستفيد أيضا أن هذا من خصال الجاهلية

- نستفيد أيضا وجوب مخالفة ما هو من خصائص أهل الجاهلية وتحريم التشبه بهم

- ونستفيد أيضا تحريم الفخر بالأنساب، وتحريم الطعن في الأنساب، وتحريم النياحة على الميت كما ذكر النبي

ﷺ

- ونستفيد أيضا أن التوبة تجب ما قبلها ما أعظم التوبة هداني الله وإياكم إليها التوبة تجب ما قبلها حتى قال

النائحة إذا لم تتب فدل ذلك على عظم التوبة

- ونستفيد أيضا توقيتها أن التوبة لها أمد وهو أنه لا بد أن يكون ذلك قبل الموت فمن شرط قبول التوبة أن

تقع في الزمن المحدد شرعا، والزمن المحدد شرعا زمانان زمن عام وزمن خاص فالزمن الخاص ما لم تغرغر الروح

في الحلقوم والزمن العام ما لم تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت الشمس من مغربها لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن

آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا

◆ ثم قال - رحمه الله - ولهما أي الشيخين البخاري ومسلم

عن زيد بن خالد الجهني وهو صحابي مشهور قال: صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح

"صلى لنا" أي بمعنى صلى بنا لكن كأنه لما أمهم ﷺ كان في ذلك ما يشبه الفضل عليهم ولا شك أن من حصل له صلاة خلف النبي ﷺ فقد حصل نعمة عظيمة فضمن هذا المعنى وإلا فالمراد صلى بنا رسول الله ﷺ

صلاة الصبح أي الفجر

بالحديبية الحديبية قرية معروفة تبعد عن مكة قدر مرحلة وهي المسماة الآن في طريق جدة بالشميسي جزء منها في الحل وجزء منها في الحرم ولهذا كان نبينا ﷺ عام الحديبية نازلا في الحل فإذا أراد أن يصلي تقدم إلى الشق الذي بالحرم فصلى به لمزيد فضل الصلاة في أرض الحرم، قال: على إثر سماء كانت من الليل المراد بقوله:

على إثر سماء: إثر الشيء هو ما يعقبه على إثر سماء

وما المراد بالسماء؟ ها هنا المطر سمي المطر سماء باعتبار جهته لأنه ينزل منها إذن مطروا ليلا

فلما انصرف أقبل على الناس: يعني أقبل على الناس بوجهه وخطابه

قال أتدرون: وفي بعض النسخ هل تدرون والمقصود الاستفهام ولا ريب أن أسلوب الاستفهام مما يحضر الأذهان وينبه الغافل

أتدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم: وهذه جملة:

- تقال في زمن النبي ﷺ بإطلاق في الأمور الشرعية وفي الأمور الكونية

- أما بعد زمن النبي ﷺ فلا يقال الله ورسوله أعلم إلا في الأمور الشرعية

فلو قال لك صاحبك هل قدم فلان من السفر لا تقل الله ورسوله أعلم قل الله أعلم لكن لو قال لك مثلا ما

حكم كذا وكذا في أمر لا تعلمه قال النبي ﷺ حاكيا عن ربه - عز وجل - :

أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر: إذن هذا الكفر ليس كفرا مخرج عن الملة لأن هذه العبودية هي عبودية

الإيمان أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فهو الكفر الذي دون الكفر المخرج عن الملة

فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب: هذه جملة المؤمنين قالوا مطرنا بفضل الله

ورحمته فاكسبت هذه الجملة صفة الذكر المشروع بإقرار النبي ﷺ له بل بإقرار الله تعالى لها مطرنا بفضل الله ورحمته

فجمعت بين الفضل والرحمة كما في الآية الأخرى: (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون)
طيب إذن نسب المطر إلى فضل الله ورحمته،

وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب: ما وجه كفره لأنه وقع منه من الألفاظ لفظ
ينافي التوحيد الواجب حيث نسب المطر إلى النجم لكن لو صدر ذلك من معتقد بأن النوء هو المؤثر فذلك كفر
مخرج عن الملة لكن هذا لا يتصور من الصحابة رضوان الله عليهم لكن الذي وقع منهم ما دون الكفر الأكبر وهو
الأصغر وهو كفر اللفظ فنبههم وعلمهم النبي ﷺ على ما ينبغي لهم أن يقولوه

قال ولهما من حديث ابن عباس: معناه يعني غير حديث زيد بن خالد يزيد يعني:

فيه زيادة قال بعضهم لقد صدق نوء كذا وكذا فأنزل الله هذه الآية (فلا أقسم بمواقع النجوم) إلى قوله (
تكذبون): وهذه الجملة لقد صدق نوء كذا وكذا جملة لم يزل الناس يتوارثونها حينما يقع مطر في موسم معين
يقولون صدق نوء كذا وكذا لأنهم يقرونها بالأنواء فهذا من شرك الألفاظ وهو من أنواع الشرك الأصغر فأنزل الله
تعالى هذه الآية:

(فلا أقسم بمواقع النجوم): التي ختم الله بها سورة الواقعة إلى قوله تكذبون يعني (وتجعلون رزقكم أنكم
تكذبون) كما قدمنا في أول الآية

ومواقع النجوم للمفسرين فيها قولان:

- منهم من يقول إن مواقع النجوم المراد بها نجوم القرآن لأن القرآن نزل منجما (وقال الذين كفروا لولا
أنزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا) فالقرآن نزل منجما على حسب
الوقائع والحوادث،
- والقول الآخر وهو الذي قصده المصنف وقاله ابن عباس أن المراد بمواقع النجوم مطالعها مطالع
الكواكب والأجرام السماوية وهي مطالع عظيمة تقاس الآن بالسني الضوئية تعلمون هذا لأنه قسم
عظيم قال (وإنه لقسم لو تعلمون عظيم)

فهذه النجوم التي تبدو لنا قريبة في القياسات الحديثة لا تقاس إلا بالسني الضوئية والسنة الضوئية يراد بها ما
يقطعه الضوء في سنة كاملة والضوء سرعة الضوء أعلى أنواع السرعة يسير الضوء في الثانية الواحدة ثلاثمائة ألف

كيلومتر في الثانية الواحدة ولهذا يحتاج ضوء الشمس ليصل إلينا إلى ثمان دقائق حتى يبلغنا بهذه السرعة الهائلة ثلاثمائة ألف كيلومتر

وأقرب نجم بعد الشمس نجم يقال له قنطور يحتاج الضوء ليصل إلينا إلى أربع سنين فهذا يدل على أنها الإخوان على سعة خلق الله خلق فسيح عظيم وما نحن في هذا الكون إلا هباءة صغيرة فهذا مما يوحي به قول الله تعالى: (وإنه لقسم لو تعلمون عظيم) إذن مناسبة هذا الحديث للباب ظاهرة وهو تحريم نسبة نزول المطر إلى الأنواء وتسمية ذلك كفرا بل وتسميته تكديبا

◆ فنتفيد من هذا الحديث:-

- تحريم نسبة نزول المطر إلى الأنواء
- نستفيد أيضا أن ذلك يسمى كفرا ويسمى تكديبا بنص كتاب الله
- وأيضا نستفيد فائدة تربوية وهو مشروعية تعليم الناس عند الحاجة فينبغي لطالب العلم والمربي والواعظ أن يغتنم المناسبات ويتخول الناس بالموعظة فيحدثهم بالحديث المناسب في المقام المناسب
- ونستفيد أيضا وجوب شكر نعمة الله - عز وجل - وعدم إضافتها إلى غيره
- ونستفيد طريقة من طرائق التعليم وهي التعليم عن طريق السؤال والجواب أتدرون ماذا قال ربكم؟
- ونستفيد أيضا أنه يشرع لمن سئل وجهل أن يقول الله ورسوله أعلم
- ونستفيد وصف الله تعالى بالفضل والرحمة مطرنا بفضل الله ورحمته
- ونستفيد أيضا مشروعية هذا الذكر بعد المطر طيب ما الذي يشرع لنا أن نقول حال المطر اللهم صيبا نافعا وبعد المطر مطرنا بفضل الله ورحمته
- ونستفيد أيضا أن الكفر كفران كفر مخرج عن الملة وكفر لا يخرج عن الملة

◆ ونستمع إلى المسائل

فيه مسائل

الأولى: تفسير آية الواقعة.

[الشرح]: مراده (وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون)

الثانية: ذكر الأربع التي من أمر الجاهلية.

[الشرح]: وهي التي عدّها النبي ﷺ الفخر بالأحساب والطعن في الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة

على الميت

الثالثة: ذكر الكفر في بعضها.

[الشرح]: نعم ذكر الكفر في بعضها لقوله أصبح من عبّادي مؤمن بي وكافر وذلك أن من قال مطرنا بنوء كذا

وكذا فإنه يتناوله

الرابعة: أن من الكفر ما لا يخرج من الملة.

[الشرح]: كهذه الألفاظ التي تخرج ولا تراد حقيقتها

[قراءة المتن]

الخامسة: قوله " أصبح من عبّادي مؤمن بي وكافر " بسبب نزول النعمة.

[الشرح]: يعني أن من النعم إذا لم تشكر ما يكون سببا لحصول الكفر

السادسة: التفطن للإيمان في هذا الموضع.

[الشرح]: نعم أنه ينبغي التنبيه في مكان الشكر وأن مقتضى الإيمان هو شكر المنعم كلما تجددت نعمة

السابعة: التفطن للكفر في هذا الموضع.

[الشرح]: كذلك أن مثل هذه المواطن قد تكون مدعاة للكفر وهو كفر النعمة وذلك بنسبتها إلى غير مسديها

سبحانه

الثامنة: التفطن لقوله "لقد صدق نوء كذا وكذا".

[الشرح]: نعم يريد الشيخ أن ينبه الناس إلى ما يجري على ألسنتهم لقولهم صدق نوء كذا وكذا

التاسعة: إخراج العالم للمتعلم المسألة بالاستفهام عنها. لقوله: " أتدرون ماذا قال ربكم؟".

[الشرح]: نعم استخرجها بهذه الطريقة طريقة السؤال والجواب

العاشرة: وعيد النائحة.

[الشرح]: وعيد النائحة وهي أنها تبعث يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب فإن الجزاء من

جنس العمل

هذا وصل اللهم علي نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين؛